المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد السادس عشر، يونيو ٢٠١٨ م

المدح والهجاء في شعر الفرزدق

محمد بلال حسين *

Abstract

Al Farazdaq was one of the greatest poets of the Umayyad period. His poetic talent started manifesting itself in childhood. He wrote mainly poems of praise and censure, glorification, description, morning and love. He achieved distinction in writing eulogies and satire. He wrote many a poem in praise of Umayyahs caliphs. He was sympathetic towards Hazrat Ali (c) and his family descendants. Farazdaq was more interested in praising himself and his ancestors than in praising others. His poetry is full of a deep style of expression on appropriate, difficult and arcane worlds. Farazdaq also excelled in writing satires and lampoons. His contemporary Jarir could not defeat him even after trying very hard. Farazdaq even stooped to the level of using obscure worlds and abuse to denigrate his opponents. Farazdaq was highly regarded by Arabic linguists and grammarians. They used to say that if not for the poetry of Farazdaq, one third of Arabic language would have been lost.

مقدمة

كانت أغراض الشعر الأموي وليدة حياة الشاعر والبيئة والأحوال والطبيعة والاجتماعية التي كانت تحيط به فمنها المدح والهجاء والوصف والرثاء والفخر والغزل والخمر والزهد والحكمة. جرى المدح والهجاء في الشعر العربي من العصر الجاهلي، وكثر نطاقه في العصر الأموي. أما الشعراء المتقدمون كانوا ينشدون في المدح لأنفسهم ولمن يحبونه ويقومون بالهجاء لأعدائهم، فكانوا يتقابلون ويتناقضون فيهما بفرحة كثيرة وكثرت ممارسة هذا النضال بين الشعراء الأمويين ، كان في

* أستاذ مساعد، قسم العربية، جامعة داكا

طليعتهم الأخطل (٦٨٠-٩٥٠م) وجرير (٦٧٠-٧٧٠م) و الفرزدق (٦٨٠-٧٣٢م) واشتهر

* الأستاذ المساعد ، قسم العربية ، جامعة داكا

أعمالهم في الشعر بالنقائض. وفضل فيما بينهم الفرزدق على أقرانه في المدح والهجاء واتخاذ الألفاظ وأداء المعانى الدقيقة حتى قال فيه أبو عبيدة: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. [1] ترك الفرزدق أثارًا قيمة وخدمة جليلة في الشعر العربي؛ ولذلك يعد الفرزدق من شعراء الطبقة الأولى في العهد الأموي.

نبذة وجيزة من حياة الفرزدق

ولادته : اسمه أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي الدارمي الملقب بالفرزدق[2] لقب به لجهامة وجهه وغلظه.[3] ولد الفرزدق في البصرة فى أواخر الخلافة لعمر الفاروق (رض) عام ٦٨٠م الموافق ٦٠ من الهجرة[4] كان أبوه من أشراف قبيلة غالب وكان جده كريم الأخلاق ومحمود السيرة وكان رئيسا في قومه وله مناقب مشهورة.[5]

وكان جده صعصعة مشتهرا بالسخاء والجود وكان محى الموؤودات[6] ومنع الوأد وهن البنات التي كانت تدفن قبل الاسلام في الجاهلية وشراها فيربها ويهذبها، لذلك لقب بمحى الموؤودات. قيل إنه اشترى ثلاثمائة وستين بنتا معدة للوأد كل واحدة بناقتين وجمل. وأم الفرزدق هى لينة، قيل ليلى بنت الحابس أخت الصحابى الأقرع بن حابس ترك له أبوه وجده مالا كثيرا.[7]

نشأته: نشأ الفرزدق في بيت كريم،[8] وتربى الفرزدق في البادية استحصل منها فصاحته وطلاقة لسانه. وقد عاش صباه مع أبيه في الصحراء من قريب البصرة، وكانت البصرة مشتهرة كمركز العلم والفنون في ذلك الوقت. كان أبوه مجدا في تعليمه وتدريسه فعلمه الشعر ودرج الفرزدق في عش الأدب وشب في ربوع الفصاحة.[9] ونبغ فيه العبقرية الشعرية، فشجعه أبوه في الإنشاد وأخذ أبوه يرويه الشعر ويعلمه القريض حتى تفتحت عنه قريحته وانطلق لسانه،[10] فقدمه أبوه ذات يوم إلى أمير المؤمنين علي (رض) بعد واقعة حرب الجمل وقال له إن إبنى هذا يجود فى الشعر بطلاقة وسلاسة فقال على (رض) في جوابه: علمه القران فهو خير له، أثر كلمة علي (رض) في قلب الفرزدق أثرا بليغا، فبدأ يحفظ القرأن بالعناية العفوية وقيد نفسه ويلبس السلاسل حتى يحفظ

القران، ولم ينشد أي شعر قبل أن يتم حفظ القران[11] إلا أنه ظهر في حياته الفسق والفجور واللا أخلاقيه بعد أن اتخذ مكانا مهما في الشعر.[12] أخرج من البصرة لما قال الشعر في هجاء بنى نهشل والتجأ في المدينة، وأصبح منكرا عند أهل المدينة لأشعاره الهجائية، غضب عليه المواطنون وادعوا عليه، فأمر الحاكم مروان بن الحاكم ليهاجر المدينة فهدده الشاعر أنه سينشد الشعر بعد أن أخرج هجاء للمروان، ففزع مروان وأرضاه بمائة دينار وجمل وعاد إلى العراق.[13]

تزوج بنت عمه نوار ولكن أصبحت حياته الزواجية سيئة، اشتد النزاع والجدال بين الأسرتين حتى طلقها الشاعر. ولكن أسف وتألم بعد طلاقها وأظهر ذلك والوضع المأساوى والقلق النفسي الكبير في شعره حتى أصبحت كلمته مثلا عربيا متأسف كفرزدق.[14]

آثاره: للفرزدق ديوان، طبع مرارا، منه في باريس سنة٩٠٨م ثم تعددت طبعاته في مصر ولبنان، وأما أغراض شعر الفرزدق فهى جميع أغراض الشعر الجاهلى من مدح وهجاء وفخر ورثاء، وصف وغزل.[15]

توفي الفرزدق بالبصرة في سنة ٩٥٢م الموافق٨٤١ه.[16]

المدح في شعر الفرزدق: المدح نوع شهير من أنواع الشعر، كان الشعراء في الجاهلية وفي صدر الاسلام يقومون بمدح أشرافهم، يمدحون للأعمال الصالحة والخصائل المحمودة والإسهامات القيمة في العشيرة. كما اشتهر حسان بن ثابت الأنصاري (المتوفى٩٨٦م) لإنشاده الأشعار في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام وكذلك قام الفرزدق بالمدائح الشعرية للخلفاء والأمراء والأشراف.

ولا يعد من الكثرة بأن الخلفاء والأمراء في العهد الأموي قد عينوا الشعراء لمدحهم، وكان خلفاؤهم يبذلون الأموال للشعراء ليستعينوا بألسنتهم على أعدائهم،[17] أنشد الفرزدق في مدح الأمويين كثيرا، إلا أنه كان كما قال الشاعر في مدح الخليقة متعودا في مدح نفسه ومدح أبائه الذين كانت لهم سمعة في العطاء والقرى والسخاوة، فكان له مضمار وسيع للمدح، فتسنى له ما لم يتسنى لغيره وقد مدح الفرزدق الخليفة الوليد بن عبد المالك ببضع قصائد أشهرها القصيدة التي مطلعها:[18]

هو البيت الذي من كل وجه	إليه وجوه أصحاب القبور
خيار الله للإسلام ! إنا	إليك نشد أنساع الصدور
ستحملنا إليك مبلغات،	يطأن دما، مكدحة الظهور
بنات الداعري إذا تلاقت	عراها وهى جائلة الضفور
لنأتي خير أهل الأرض حيا،	تحل إليه أحناء الأمور

إن الشاعر الفرزدق قد أنشد الشعر إظهارا فخره وفخر أبائه وأجداده بهذه الصفات الكريمة التي يحملونها، فنراه يمدح جده صعصعة في إسهامه لإنقاذ الموؤدات بإنفاق أموال نفسه فدية:

أبى أحد الغيثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر

أجار بناب الوائدين ومن يجر على الفقر يعلم أنه غير مخفر

وفارق ليل من نساء أتت أبي تعالج ريحا ليلها غير مقمر[19]

قد اعتمد الشاعر الفرزدق في مدحه معان جاهلية وإسلامية معا، نحو الكرم، وهو من صفات الرجل فى الجاهلية التى قلدها شعراء العرب بعد الاسلام، وكذلك الرصانة والروية وجمل أثقال الآخرين، وإغاثة الملهوف وكشف غمة المغموم، وما إليها، كلها فضائل احترمها الجاهلى، وصانها شعراء العرب بعد الإسلام.[20]

وقد اجتمع الفرزدق في شعره عمق النطق وجودة الألفاظ والنوادر، ولذلك يستخدم اللغويون والنحاة أشعاره فى الأمثال – يعتقد أن في شعره كثيرا من أساليب العرب وألفاظهم ويرون أنه لولم يكن شعر الفرزدق لفسد ثلث العربية.[21]

كان الشاعر الفرزدق متواضعا في حب علي بن أبى طلب (رض) ويتشيع لأهله قد أنشد فيهم كثيرًا.[22] وظهر حبه في حادثة شهيرة، قصد هشام بن عبد المالك (٦٩٥-٧٤٣م) إلى الحج في أيام خلافة والده، برفقة حاشيته وكان موكبه كبيرًا اشترك فيه أراكين الدولة الإسلامية وجماعة من أعيان الشام ، وقد كان معهم الشاعر العربي الفرزدق، فبدأ يزور الكعبة المشرفة وطاف بالبيت، وكان البيت الحرام مكتظا بالحجيج في تلك السنة، لذلك لم يستطع هشام بلوغ الحجر الأسود لاستلامه من كثرة الزحام، فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس، يرقب منه الحجاج ريثما يخف الزحام[23]

وفي الوقت نفسه قدم الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب لزيارة بيت الله الحرام، ما كان معه موكب ولا أصحاب له إلا أنه لا يواجه أى ازدحام، يوسع له الناس المكان، فطاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى له الناس حتى استلم الحجر وأفسح له الحجاج احتراما وإجلالا فتجاهله هشام مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وسأل من هذا ؟

وكان الفرزدق حاضرا وقريبا منه فأدرك القصد وقال : أنا أعرفه،[24] هذا زين العابدين بن الحسين بن علي. وأجابه الشاعر العربى الفرزدق بهذه القصيدة التي يتحدث عن علو شأن الممدوح وشهرته التي عمت الآفاق،

وتجليه بمكارم الأخلاق وحسن الخلاق والصفات فضلا عن علو حسبه ونسبه فهو من نسل الرسول الكريم عليه السلام وهى من أروع ما قال الفرزدق مطلعها:[25]

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته، والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم، هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة، إن كنت جاهله، بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك : من هذا ؟ بضائره، العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما، يستوكفان، ولا يعرومهما عدم
سهل الخليقة: لا تخشى بوادره، يزينه اثنان : حسن الخلق والشيم
حمال اثقال أقوام، إذا افتدحوا، حلو الشمائل، تحلو عنده نعم
ما قال : لا قط، إلا في تشهده، لولا التشهد كانت لاءة نعم
عم البرية بالإحسان، فانقشعت عنها الغياهب والاملاق والعدم
إذا راته قريش قال قائلها : إلى مكرم هذا ينتهي الكرم[26]

فلما بلغ خبر القصيدة عند هشام، وهو بين مكة والمدينه فغضب وأمر بسجنه، ثم اعتذر الفرزدق لديه ومدحه بقصيدة عارض فيها أبياته فى هجائه فقال![27]

أتحبسنى بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيبها
هي القرية الأولى التي كل قرية لها ولد ينمي إليها مجيبها
هدوءا ركابي لا تزال نجيبة، إلى رجل ملقى، تحن سلوبها
ولم يلق مالاقيت إلا صحابتي، وإلا ركاب لايراح لغوبها

ولما بلغ ذلك هشام فرح وأمر بإطلاقه.

الهجاء في شعر الفرزدق

الهجاء هو نوع من الشعر نقيض المديح يُكتب عندما يريد الشاعر أن يعبر عن سخطه واشمئزازه من شخص اخر وهو عكس المديح فالمديح يقوم على عاطفة الإعجاب والتقدير وذكر المناقب أما الهجاء يقوم على ذكر السُخط والاشمئزاز وذكر المثالب. والهدف المشترك المتمثل في هجاء هو أن الأفراد العار، والمجتمع نفسه، في تحسن. عادة ما يعني أن يكون مضحكا، ولكن الغرض منه هو أكبر كثيرا لانتقادات بناءة الاجتماعية، وذلك باستخدام الطرافة كسلاح.وكذلك يستعمل عندما نريد ذكر مساوئ المواقف.

إن الفرزدق قد برع في الشعر الهجائى في العصر الأموي كثيرا،[28] وهو يعارض جريرا بالأشعار النقائضية التي كانت مركبا كبيرا للهجاء. وينشد

كل منهما في هجاء مقابليه. ما تمكن جرير على أن يجعل الفرزدق مغلوبا قط. كان شاعر المجون أيضا يهتك بأمجاد المعارضين ويشتمهم بأسوأ الألفاظ والخطاب. ندّد جريرا بمسميات دنيئة من مراعي الغنم والجمل والزانى وغير ذلك. ولا يستنكف بهذه الكلمات الخبيثة صراحا دون تلميح. مرة أنشد جرير أشعارا رثاء لزوجته وكان من الواجبات الفرزدق كشاعر في أقرانه أن يتسلاه لكنه قال منددا لها:

كانت منافقه الحياة، وموتها خزى علانية عليك وعار[29]
فلئن بكيت على الأتان لقد بكى جزعا، غداة فراقها، الاعيار
ينهسن أذرعهن حين عهدنها ومكان جثوتها لهن دوار
تبكي على امرأة وعندك مثلها قعساء ليس لها عليك خمار
ولتكفينك فقد زوجتك التي هلكت موقعة الظهور قصار
أخوات أمك كلهن حريصة، ألا يفوتك عندها الإصهار
فاخطب وقل لأبيك يشفع أنه سيكون، أو سيعينك المقدار

ويذكر مآثر أبائه وأجداده وأمجادهم في أشعاره الهجائية وأصبح بعض أشعاره أمثالا.

ومنا خطيب لا يعاب، وحامل أغر إذا التفت عليه المجامع[30]
ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والأقارع
ومنا غداة الروع فتيان غارة، إذا متعت تحت الزجاج الأشاجع
ومنا الذي قاد الجياد على الوج لنجران حتى صبحتها النزائع
أولئك آبائي، فجئني بمثلهم، إذا جمعتنا يا جرير المجامع
نموني فأشرفت العلاية فوقكم بحور، ومنا حاملون ودافع
بهم أعتلي ما حملتني مجاشع، وأصرع أقراني الذين أصارع
فيا عجبي حتى كليب تسبتني، كأن أباها نشهل أو مجاشع

يستعين خلفاء بني أمية من الشعراء في هجاء أعدائهم وينشد هذه الأشعار الهجائية لحصول الأغراض السياسية، ولذلك يقال لها الأشعار السياسية الهجائية، وكانت هذه الأشعار دون روح، فإنهم ماقالوها من ضمائرهم[31] وأنشد بعض الأشعار الهجائية للهناء والسرور ما كان لها أغراض نفسية خاصة. وشعر الهجاء معروف بالنقيض جمعه نقائض مشتقة من نقض معناه الكسر، لو هجا شاعرٌ شاعرا يجيبه بالهجاء، يشترط فيه أن يقول الشاعران النقيض بقافية وسجع متحد ويقبلان به ليظهرا مهارتهما في الشعر. والنقائض التي جرت بين الفرزدق وجرير كان له عوامل مختلفة متنوعة ما تسببت لشهرتها. وبسببه زادت الثروة الأدبية للعربية وازدهرت اللغة وانكشفت بعض تصاوير المجتمع الأموي في أشعارهم، وكثرت رغبة الناس إلى قراءة الأشعار وتدرسها.

كان جرير والفرزدق من بني تميم. ولكن لم يكن بينهما محبة قلبية بل يظهر أحد لأخر عداوته، وذلك يظهر في واقعة شهيرة وذلك أنه كان سليطا شاعر الغسان ينشد الشعر في هجاء جرير فيعجزه جرير بإجابته فاستعان غسان من شاعر عاصره المعروف الفرزدق، وأجاب الفرزدق لندائهم وبدأ يجيب عن أشعار جرير بالشدة حتى احتدم بينهما النقائض وجرى ذلك نحو أربعين سنة ثم أصبح مسلمى جرير بالجريرية ومسلمى الفرزدق بالفرزدقية. [32] ولم ينشد أحد بعد مثل هذه النقائض.

قال الفرزدق يهجو جريراً :

تقول كليب حين مثت سبالها وأخصب من مروتها كل جانب[33]
لسؤبان أغنام رعتهن أمه إلى أن علاها الشيب فوق الذوائب
ألست إذا القعساء أنسل ظهرها إلى آل بسطام بن قيس العصائب
لقوا ابني جعال والجحاش كأنها لهم ثكن والقوم ميل العصائب
فقالا لهم : ما بالكم في برادكم، أمن فزع أم حول ريان لاعب
فقالوا : سمعنا أنّ حدراء زوّجت على مائة شمً الدّرى والغوارب
وفينا من المعزى تلاد كأنها ظفارية الجزع الّذي في الترائب

ويوجد في هجاء الفرزدق لونان، لون يعم شعر سائر الشعراء الهجائين، وهو قائم على فحش الألفاظ، والمعانى، وهتك الأعراض، ولون اختص به شعره وهو قائم على تغلب روح الفخر فيه على روح الهجاء.[34] ولذلك قال الأخطل : الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر.[35]

قال الدكتور شوقي ضيف: أنه نشأ حديد اللسان ومحبا للخصومات، يهجو من حوله من قومه وغير قومه، وكان ممن هجاهم وأسرف في هجاء بني فقيم وذلك أنهم خرجوا يطلبون دما لهم في قوم، فصالحوا منه في دية،[36] فقال حين رجعوا:

لقد آبت وفود بني فقيم بآلم ما تؤوب به الوفود
أتونا بالقدور معدليها وصار الجد للجد السعيد
وشاهدت الوفود بنو فقيم بأحرد إذ تقسمت الجدود[37]

وقد هجا الفرزدق لإبليس أيضا. ذكر حنا الفاخوري أن الفرزدق دخل يوما المربد ولقى رجلا يقال له حمام ، وكان معه زق فيه سمن. فقال للشاعر ارجع أعراض قومي أدفعك ذلك إليك فرضى الشاعر وأنشد فيه فمدح قومه وهجا إبليس،[38] فقال:

إذا شئت هاجتني ديار محيلة ومربط أفلاء أمام خيام
بحيث تلاقى الدو الحمض هاجتا لعيني أغرابا ذوات سجام
فلم يبق منها غير أثلم خاشع وغير ثلاث للرماد رئام
ألم تراني عاهدت ربي، وإنني لبين رتاج قائم ومقام

على قسم لا أشتم الدهر مسلما، ولاخارج من فى سوء كلام[39]

الخاتمة

وبالأخير يمكننا أن نلخص المقالة في كلمات عديدة، وهى أن الفرزدق كان من أكبر الشعراء في عصره، له مساهمة كبيرة في تطوير الشعر العربي فى العصر الأموي. قد جاء الاعتراف المذكور من قرينه ومعارضيه الشاعر جرير كما سبق. وهذا الاعتراف لأمر كبير من شاعر لشاعر هو قرينه ومعارضه.

المراجع والمصادر

١. ديوان الفرزدق (بيروت: دار الصادر، ٢٠٠٨م)، ص 8
٢. انعام الجندى، الرائد فى الادب العربى (بيروت: دار الرائد العربى، ١٩٦٩م)، ج ١، ط ٢، ص ٢٢٥
٣. شوقى ضيف، تاريخ الأدب العربى (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٢٦٦
٤. المصدر السابق، ص ٢٦٦
٥. جرجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية (بيروت: دارالفكر، ٢٠٠٥م)، ج ١، ص ٢٩٦
٦. ديوان الفرزدق (بيروت: دار الصادر، ٢٠٠٨م)، ص ٥
٧. المصدر السابق، ص ٥
٨. شوقى ضيف، تاريخ الادب العربى (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م)، ص ٢٦٩
٩. أحمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربى (بيروت: دار المعارف، ١٩٩٥م)، ص ١٢٠
١٠. المصدر السابق، ص ١٢٠
١١. تاريخ آداب اللغة العربية، ج ١، ص ٢٩٦
١٢. أحمد حسن الزيات، المصدر السابق، ص ١٢٠
١٣. الرائد فى الادب العربى، ج ١، ص ٢٢٥
١٤. المصدر السابق، ص ٢٢٥
١٥. جرجى زيدان، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٨
١٦. حنا الفاخورى، المؤجز فى الادب العربى وتاريخه (بيرت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ج ١، ص ٥٦٤
١٧. جرجى زيدان، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٥
١٨. ديوان الفرزدق (بيروت: دار الصادر، ٢٠٠٨م)، ص ١٩١
١٩. المصدر السابق، ص ٢٢٩
٢٠. انعام جندى، المصدر السابق، ص ٢٦١
٢١. جرجى زيدان، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٨
٢٢. جرجى زيدان، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٩
٢٣. حنا الفاخورى، المؤجز فى الادب العربى وتاريخه (بيرت: دار الجيل، ١٩٩١م)، ج ١، ص ٥٩٦

٢٤. المصدر السابق، ص ٥٩٦
٢٥. ديوان الفرزدق، ص ٦٦٢
٢٦. ديوان الفرزدق، ص ٦٦٦
٢٩. ديوان الفرزدق، ص ٦٩
٢٨. شوقى ضيف، ج ٢، ص ٢٦٩
٢٩. ديوان الفرزدق، ص ٢٢٦
٣٠. ديوان الفرزدق، ص ٢٥٦
٣١. جرجى زيدان، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٥
٣٢. المؤجز فى الادب العربى وتاريخه، ج ١، ص ٥٦
٣٣. ديوان الفرزدق، ص ٥
٣٤. ديوان الفرزدق، ص ٥
٣٥. احمد حسن الزيات، المصدر السابق، ص ١٢١
٣٦. شوقى ضيف،المصدر السابق،ص ٢٦٨
٣٩. ديوان الفرزدق، ص ٩٦
٣٨. حنا الفاخورى، المصدر السابق،ص ٥٩٦
٣٩. ديوان الفرزدق، ص ٦٨٤